# تَمَثُّلُ الأعمال:

# خيرها وشرّها

الإمام الشيخ

عبد الله سراج الدين

رحمه الله تعالى ورضي عنه

هذا البحث مقتبس من كتاب

( الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها )

من الصفحة ٣٤١ حتى الصفحة ٣٤٦

للشيخ الإمام

عبد الله سراج الدين الحسيني

بناء على توجيهات ولده

المهندس الشيخ

محمد محيي الدين سراج الدين

رحمهما الله تعالى ورضي عنهما

ويمكنك تحميل هذه الأبحاث القيّمة

وتحميل جميع كتب الشيخ الإمام

من موقعه الرسمي والوحيد

WWW.SRAJALDEN.COM

قسم مؤلفات الإمام

ـ المؤلفات المكتوبة وقبسات من المؤلفات

مدير الموقع :

الشيخ عبد الله محمد محيي الدين سراج الدين

# تمثُّل الأعمال: خيرها وشرِّها

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾.

والمعنى: واذكر يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً: أمامها مشهوداً مُعَايَناً لديها، والذي عملته من الشر تودُّ حين تراه: لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ـ أي: مسافة بعيدة ـ أي: تود لو أَنَّ بينه وبينها بُعدَ المشرقين، فلا يجتمعان؛ ولا يلتقيان أبداً.

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ﴾ والمعنى: أَنَّ الله سبحانه يُخوفكم نفسه، فلا تتعرَّضوا لغضبه وسخطه، ولا لعذابه، ولا لعتابه ولا لحجابه.

﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ ومن رأفته بهم أنه حذرهم وأنذرهم عذابه وعقابه وغضبه، ومَن أنذر فقد أعذر.

ففي هذه الآية: دليل على أَنَّ الأعمال كلَّها: خيرها وشرها سوف يُحضرها الله تعالى يوم القيامة، ويراها صاحبها.

قال تعالى: ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ﴾ أي: موجوداً.

وليس المراد حضورها في الكتاب، إذاً لقيل: ووجدوا ما عملوا مكتوباً أو مسطوراً ـ وإنما يرونه حاضراً بوجودٍ مِثاليٍّ.

وذلك أَنَّ هناك عالماً كبيراً واسعاً يُسمى عالم المثال، تتمثَّل جميع الأشياء فيه، سواءٌ كانت حِسية أو معنوية، وسواء كانت جسمية أو عقلية أو عملية، تتمثل هناك بمثال يُناسبها، فالحسنات تتمثل بصور نيِّرة حسنة، والسيِّئات بصور مظلمة سيئة قبيحة.

روى الإمام مسلم، عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه، أَنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «الطُّهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن ـ أو تملأ ـ ما بين السماء والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجَّة لك أو عليك» الحديث.

فالصلاة تتمثل بصور نورانية لصاحبها، والصيام ضِياءٌ له، والصدقة ـ أي: الزكاة ـ تأتي يوم القيامة بُرهاناً لفاعلها على صِدْق إيمانه، والقرآن يقف مع العبد موقف الحجة له إن عمل به، وعليه إنْ لم يعمل به.

روى مسلم، عن أبي أُمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «اقرؤوا القرآن، فإِنَّه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرؤوا الزهراوَيْن[1]: البقرة وآل عمران؛ فإِنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غَمامتان أو غيايتان[2] أو كأنهما فرقان من طيرٍ صوافَّ تُحاجَّان عن صاحبهما، اقرؤوا البقرة: فإِنَّ أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البَطَلة» يعني: أَن

---

(١) تثنية زهراء وسميت بذلك لشدة نُورها وجمالها.

(٢) الغمامة والغياية: كل شيء أظلَّ الإنسان فوق رأسه من سحابة أو غيرها ـ والمعنى: أنها تظله من حَرِّ الموقف وشدة الحساب.

من واظب على قراءة سورة البقرة حلَّت عليه البركة في: عمره، وعمله، ورزقه، وأهله، وداره، وحفظه الله تعالى من البَطَلةِ ـ أي: السحرة ـ.

وفي: (صحيح) مسلم، عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهلِه الذين كانوا يَعملون به في الدنيا، تقدمه سورة البقرة وآل عمران».

وضرب لهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة أمثال ما نسيتهنَّ بعدُ قال: «كأنهما غَمامتان أو ظُلَّتان سوداوان، بينهما شَرْق ـ أي: ضوء ـ أو كأنهما فِرقان من طيرٍ صوافَّ تحاجّان عن صاحبهما».

فقراءة سورة البقرة وآل عمران تتمثل يوم القيامة بطيور صواف أجنحتها، يُحاجان ويدافعان عن صاحبهما يوم القيامة.

وعن عبد الله بن عُمر رضي الله عنهما، أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «الصيام والقرآن يشفعان بالعبد يوم القيامة:

يقول الصيام: ربِّ منعته الطعام بالنهار فشفعني فيه.

ويقول القرآن: ربِّ منعته النوم بالليل فشفعني فيه ـ فيشفعان» رواه أحمد، وابن أبي الدنيا، والطبراني، والحاكم كما في: (الترغيب) للمنذري.

وقال الله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾.

فأثبت سبحانه هُنا أَنَّ للسعي أمرين: **أحدهما** أنه يُرى، **ثانيهما** أنه يُجزى صاحبه الجزاء الأوفى.

فالسعي أي: العمل سوف يراه صاحبه وغيره عَياناً، متمثلاً بصورة مناسبة له، ولا يجوز أن يُقال: سوف يُرى جزاؤه؛ لأنه جاء بعد ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ الآية.

وهكذا أعمال الشرِّ والمخالفات تتمثل يوم القيامة بما يُناسبها في القيامة من الصور المثالية.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

والمعنى: لا يحسبنَّ الذين يَبخلون أن يؤدُّوا زكاة أموالهم؛ أن البخل خير لهم، وتوفير لمالهم، وتكثير له، وحفظ له من النقصان، بل إنَّ البخل شرٌّ لهم في الدنيا والآخرة، فإنَّه لا خير في مالٍ لا تُؤدى زكاته، وليعلموا أنهم ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

قال ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم في هذه الآية: يجعل ما منعه من الزكاة حيَّة تُطوّق في عنقه يوم القيامة، تنهشه من فرقه إلى قدمه.

وهذا مأخوذ من الحديث الذي رواه البخاري وغيره، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلم: «مَنْ آتاه الله مالاً فلم يُؤدِّ زكاته مُثِّل له يوم القيامة شجاعاً ـ أي: ثُعباناً عظيماً ـ أقرعَ، له زبيبتان[1] يُطَوَّقُه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه ـ يعني شدقيهِ ـ ثم يقول: أنا مالك أنا كنزك» ثم تلا ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم﴾ الآية.

وروى مسلم، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو جالس في ظِلِّ الكعبة، فلما رآني قال: «هم الأخسرون وربِّ الكعبة».

قال: فجئت حتى جلستُ، فلم ألبث ـ أي: أستقر ـ أنْ قمت فقلت: يا رسول الله فداك أبي وأمي مَن هم الأخسرون؟.

قال: «هم الأكثرون أموالاً إلاّ مَن قال: هكذا وهكذا وهكذا: من بين يديه، ومن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله[2] ـ وقليل ما هم.

ما مِن صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يُؤدي زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمنَه: تنطحه بقرونها، وتطؤه بأظلافها، كلما نفدت أُخراها عادت عليه أُولاها؛ حتى يقضىٰ بين الناس».

فالحيوانات التي لا تُزكَّى تُعاد أسمن ما كانت، تنطح صاحبها وتطؤه، والذهب والفضة ونحوهما من المال الذي لا يزكَّى ويسمى: كنزاً، فإنه يُمثَّل لصاحبه ثُعباناً عظيماً ـ كما تقدم في الحديث.

---

(١) هما: نكتتان سوداوان فوق عيني الحَيَّة الكبيرة.

(٢) والمراد: أنهم يكثرون الصدقات في سبيل الخيرات، ولا يمنعون خيرهم لعباد الله تعالى، فهؤلاء هم السالمون الرابحون من أغنياء المال، ومن عداهم هم الأخسرون.

وعن ثوبان رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من ترك بعده كنزاً مُثِّل له يوم القيامة شجاعاً ـ أي: حية كبيرة ـ أقرع، له زبيبتان، يتبعه فيقول: مَن أنت؟

فيقول: أنا كنزك الذي خلّفتَ.

فلا يزال يتبعه حتى يُلقمهُ يده فيقضمها ـ أي: يأكلها بأطراف أسنانه ـ ثم يتبعه سائر جسده»[1].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الذي لا يُؤدي زكاة ماله: يخيَّل إليه ماله ـ أي: يمثل له ماله ـ يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان» قال: «فيلزمه أو يطوقه يقول: أنا كنزك، أنا كنزك» رواه النسائي بإسناد صحيح.

* * *

(١) رواه البزار وقال: إسناده حسن، والطبراني، وابن خزيمة، وابن حبان، في: (صحيحيهما) كما في: (ترغيب المنذري). =